قصة : كمال حمدي

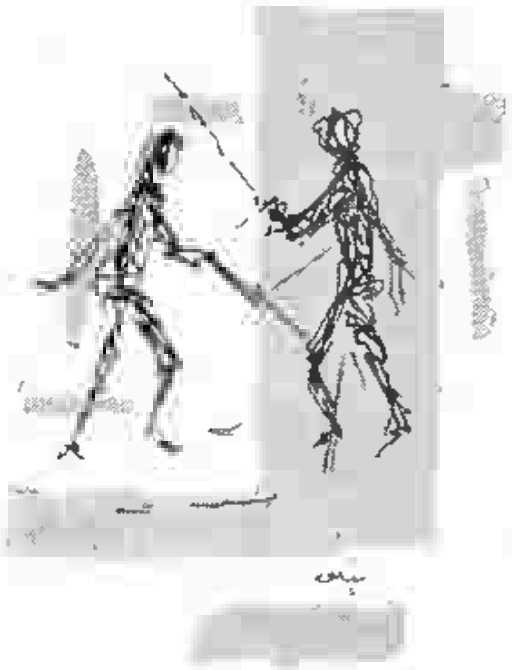

منطق الشك

ـ اسمحوا لى أن أتكلم ساعة واحدة ·· بلا مقاطعة ·· لا تخشوا شيئا ·· فما جئت للدفاع عن نفسى ·· انما جئت لاكشف لكم عن بعض خبايا نفسه ·· مثل ما كشف هو عن خبايا نفسى التى ساءتكم كثيرا ·· نعم سأكشف لكم الآن عن خبايا نفسه التى ـ لا شك ستسوءكم أكثر ·· وهناك قاعدة تقول ·· اذا اختلف اللصان ظهر المسروق·· وها نحن ـ الصديقان ·· نختلف أمامكم ··· اختلافا سيظهر منه أكثر من مسروق ··· بشاعتى ·· وبشاعته ·· اما بشاعتى فلقد وضحت لكم ·· وبقى لى أن أوضح مدى بشاعته ·· رد دين لا مفر له منه ··

والحقيقة أن اختلافنا غريب·· فالواقع أننا لم نختلف يوما قط ·· ولم يحدث بيننا سوء تفاهم ·· انما الذى حدث هو نوع من الغدر من جانبه ·· غدر ـ لاشك ـ أنه على جانب كبير من الادراك والوعى ·· فبينما هو ·· يكشف لكم عن سلوكى الخسيس بالنسبة لكم يمد يده لى فى الجانب الآخر ·· مصافحا ·· صادقا فى اخلاصه ·· على الاقل كما كان يبدو لى ··· والآن أدركت لعبته·· وكما غدر ·· ساغدر ·· بفرق بسيط ·· يداى الاثنتان أمامكم مبسوطتان·· لن تكون هناك يد تصفع · ·ويد تسلم ··بل صفعاتى ·· باليدين ·· لاخفاء هناك ··

أرسلت اليه النصحه ·· ألا يتزوج ابنتكم ·· أنا ابن عمها ·· أقرب الناس اليها ·· وذممت فيها ما شاء لى الذم ·· فاذا ما أرسلته اليه ·· دليلا يدينني عندكم ·· اطلعكم اياه بطريقة مسرحية صبيانية · ·

« هانذا اكشف لكم عنه ·· انظروا كم هو خسيس ·· ياكل من خبزكم·· يشاركم افراحكم ·· وتجرى دماؤكم فى عروقه·· ثم بعدهذا يكتب لى نصيحة صادقة خالصة ·· الا التسب اليكم ·· فنسبكم عار يخجل منه الانسان ·· لا تدخلوا هذا الشخص مرة ثانية الى المنزل ·· اطردوه ·· اوصدوا بابكم من دونه ·· »

ثم أنتم ·· وقررت أن تتبعوا ما **أمر به ·· ولم تسألوا أنفسكم ·· سؤالا واحدا بسيطا ··**

لماذا يطلعنا على تلك الخطابات ··؟

والأمر حتى وان كان فى صورة دم·· لا يخرج عن كونه نصيحة من صديق الى صديق·· لاتجبره على شىء ·· يكفيه أن يجيبه·· برفض النصيحة·· وينهى الاشكال ·· « وليمت الغرول بغيظه » ··· هذا السؤال لم يتبادر الى أذهانكم ·· لانه لا شك ·· سيجر خلفه أسئلة كثيرة ·· تضع أنفسكم فى وضع محرج ·· لا قبل لكم به ·· هناك المثل الذى يقول « الذى ابلغك السوء ·· هو الذى أساءك » ··· وهناك السؤال ·· الذى يتبع ·· هل هذه الشخصية ·· جديرة بالانتساب اليها ·· تلك التى تقدر بأصدقائها على هذا النحو ·· وانتم تعلمون ·· مدى صداقتنا وعمقها ·· بل ان معرفتكم به ·· جاءت عن طريقى أنا ·· فكيف يحدث هذا ··؟

لن استطرد فى التجريح ·· فحمدى هو حمدى··· لا تخفى عليكم معرفته من تصرفاته ·· ولاباس أن تقبلوا عيوبه

·· **لكن السؤال** الذى أريد لكم أن تحاولوا معرفة اجابته ·· ما هو هدفه

الحقيقى من وراء اطلاعه لكم على تلك الخطابات ٠٠ ؟ ما الذى يدفعه الى اتخاذ ذلك السلوك المشين ٠٠ الغدر ٠٠ الخيانة والعسة والوقيعة ما المبرر ؟ ٠٠

سنختلف لا شك فى الاجابة ٠٠ ولكن اجابتى الوحيدة ٠٠ التى أملك الدليل القاطع عليها ٠٠ هو انه يريد أن يدفعنى الى أن أغدر به ٠٠ كما غدر ٠٠ واكشف لكم عن رسائله ٠٠ التى تسوءكم أكثر من اساءة خطاباتى اليه ٠٠ تكشف عن ترددة ٠٠ وسؤاله لى الملح ٠٠ عن نصيحة ٠ ٠ايقدم ٠ ٠أم يحجم ٠٠ وعن وصف لاشكم لا يشرف ٠٠ ذلك لانى لا أرسل له النصيحة ٠٠ الا اذا سألنى اياها ٠٠ وبعد هذا ٠٠ لايستطيع أحد أن يسلبنى ٠٠ حرية ٠٠ أن أنصح من أريد ٠٠ دون التقيد باى اعتبار ٠٠ فالحقيقة ٠٠ يجب أن يضحى من أجلها كل شىء ٠٠ وأنا عاشق الحقيقة ٠٠ والآن ٠٠ اذا كشفت لكم عن رسائله ٠٠ ستضطرون الى فسخ الخطبة ٠٠ من جانبكم ان كنتم تملكون شيئا من الكرامة ٠٠ فلا يخسر هو شيئا ٠٠ وينتهى الامر الى ما يريد ٠٠٠

ـ اطلعنا على تلك الرسائل ٠٠

قالها الاب فى حدة ٠٠

ـ لا شك ٠٠ سأطلعكم عليها ٠٠ ولكن هناك شرطا اشترطه ٠٠ فكما طلب هو ايصاد بابكم دونى ٠٠ اطالبكم بنفس الشىء ٠٠ اذا كنت صادقا فيمادعيه ٠٠

ـ لك ما تطلب ٠٠

ـ أريد قسما منها هى أن تفسخ تلك الخطبة فورا ٠ ٠اذا كانت رسائله تحوى تجريحا مباشرا لها ٠٠

صمت الجميع ٠٠ ولحظة التردد طالت أكثر مما ينبغى ٠٠ فأصغت ـ لكى اخفف من شرط القسم ٠٠ تلك الخطابات سأقراها لكم ٠ بعد القسم ـ لكنكم لن تروها حتى اتيح الفرصة لصديق العمر ٠٠ أن ينكرها ٠٠ اذا أنكرها هو ٠٠ سأنكرها أنا كذلك ٠٠٠ بمثالية محطمة بكرامة مهدرة ٠٠ كرامتى أنا ٠٠

نظرت اليها ٠٠ « يسرية » تلك الفتاة التى عشقتها منذ صباى ٠٠ تراها ماذا ستقول الآن ٠٠ الكلمة كلمتها ٠٠ ولكن ٠٠ كما يحدث الشىء غير المتوقع فى الحياة دائما جاء صوت حمدى فى تحد صارخ ٠٠٠

ـ اقسمى لينكشف أصله ٠٠ أنا لم أرسل اليه شيئا من هذا أبدا ٠٠

ـ لا أنكر الآن شيئا ٠٠ أرجوك ٠٠ يكفى منك ما أهنتنى به ٠٠ لن أدع لك فرصة اهانتى مرة ثانية ٠٠ هل فهمت ٠٠ انى اتيح لك أن تنكر ما كتبته ٠٠ بعد أن اقرأه عليهم ٠٠٠ أولا ٠٠٠

اجابتى فى حدة صارخة ٠٠

ـ الحق لى ـ انكرها قبل ٠٠ وبعد ٠٠ اقسمى ٠٠ أقول لكم صادقا ٠٠٠ ليس عندك ما أخشى منه ٠٠ اقسمى ٠٠ انت ٠٠ يسرية ٠٠ الحقيقة ستضيع ٠٠ ان لم تقسمى ٠٠ والحقيقة حتى وان كانت مؤلمة أفضل بكثير من الجهل الشاك ٠٠

٠٠ نهض الاب متثاقلا ٠٠ وكلامه الهادىء يتردد ٠٠

ـ أطفال انتم ام كبار ٠٠ اننا نريد ان ننهي المشكل الآن ٠٠ دون أن نخسر كما أنتم الاثنين ٠٠ اعتذر يا حمدى له ٠٠ عن سلوكك المعاب ٠٠ لقد أخطأت حقيقة يا حمدى ٠٠ في اطلاعك على تلك الخطابات ٠٠ اعتذر له ٠٠ ومن جانبنا نحن ٠٠ سننسى كل شيء ٠٠ سنصفح عنكما انتما الاثنين ٠٠ الحياة كلها هكذا ٠٠ كلام يقال من الخلف ٠٠ ويسكر من الامام ٠٠٠

ـ كلا أبى ٠٠ يجب أن تظهر الحقيقة مهما كان أمرها ٠ كلمتها الاولى قيلت ٠٠ تريد الحقيقة ٠٠ الآن ٠٠ الحقيقة كانت بجوارها سنوات طوالا ٠٠ ولم تدركها ٠٠ فاى حقيقة تريدها ٠٠؟

ينهض حمدى وبلهجة بطولية حاسمة تلفها المرارة من كل جانب ٠٠

ـ ان اردتنى زوجا لك ٠٠ يجب ان تثقى بى ٠٠ يجب أن تقسمى ٠٠ وصراحة ان لم تقسمى الآن ٠٠ لا أستطيع الزواج منك ٠٠ ما دمت ٠٠ لا تثقى بى ٠٠

تدت منى ضحكة ساخرة ٠٠

ـ اذن فى الحالتين ٠٠ لن يكون هناك زواج ٠٠

عبارتى ٠٠ خرجت دون تحكم ٠٠ ما كان يجب أن تقال ٠٠ اسرعت بالموقف الى نهايته التى لا أريدها ٠٠ نهاية تضعنى فى مأزق ولكن ضيق تسلط عليه أضواء ٠

ـ سأقسم لك ٠٠ ما تريد ٠٠

٠٠ **قالتها** ٠٠ ما كنت أتوقع هذا ٠٠ فحمدى عريس جيد ٠٠ من الخطورة المجازفة به ٠٠ لكن هذا المأزق الذى دفعت اليه ٠٠ اعددت مخرجه ٠٠ بمنطق محكم لعبتى الاخيرة ٠٠ « انتظرى ٠٠٠ فسرت لك حقيقة هدفه الذى ٠٠ هو أن أكشف لك عن رسائله ٠٠ بما فيها من خسة واهانة ٠٠ تجرحك ٠٠ فتصفح الخطبة ٠ من جانبك ٠٠ ولا يخسر هو شيئا ٠٠ فاذا اطلعتك على خطاباته ٠٠ حقق هو هدفه ٠٠ عن طريقى ٠٠ ولكنى ٠٠ الآن ٠٠ الآن فقط ٠٠ لن اسمح لنفسى أن تكون وسيلة لتحقيق مآربه ٠٠ فاسمحى لى ٠٠ أن اعتذر ٠٠ وأن احجب عنك الرسائل ٠٠ بل لأمزقها أمامك الآن ٠٠ وسأكون أول المهنئين لزواجكما السعيد ٠٠ لا شك » ٠٠ عبارتى الاخيرة قيلت فى شيء من التمثيل البارع المتقن ٠٠٠ وجاء صوتها الشاك يتردد الى أذنى ٠٠ خافتا مؤلما ٠٠

ـ ولكنك ٠٠ قد تكون كاذبا ٠٠ وهذه الرسائل لا وجود لها أصلا ٠٠

جاءت اجابتى الساخرة ٠٠ وأنا أودع ٠٠

ـ اننا نعتبر الامور صادقة أو كاذبة وفقا لصالحنا ٠٠ والحكم لك الآن ٠٠ ان اعتبرتنى كاذبا ٠٠ فانا كاذب ٠٠ ولكن حذار من النعامة التى تخبيء رأسها فى الرمال ٠٠ هربا من وحش مفترس ٠

ـ انت الوحش فعلا ٠٠

رددتها ٠٠ ويدها تمسك بخاتم الخطبة لتخلعه من أصبع مرمرى أبيض ٠

ـ أليس هذا ما تريد ·· أنا لا أريد بعد الآن ·· ان أشترك معكم في أمثال تلك الالاعيب الوقحة ·· أبي ·· اذا سمحت اليك قراري الاخير لن اتزوج حمدي ··

ـ لا تتسرعي ··· سينتهي كل شيء على خير ··

ـ أيا كانت النهاية ·· ومهما كانت التضحية التي أقدم عليها جسيمة ·· ومهما كان القرار خطيرا ·· هذا هو قراري النهائي ·· أرجوك ·· ألا تراجعني فيه ·· مرة ثانية ·· أبدا ··

·· قامت لتنصرف ·· وكحائط مسدود وقف حمدي يهدر بكلماته المحتدة

ـ أتصدقينه ·· وأنا ··· أهكذا ينتهي الامر ·· « يسرية » ··

ـ ليس الموضوع صدقا أو كذبا ·· بل هو شعور تطرق اليه الشك ·· ليت الشعور تحكمه الارادة ·· اذن لقضيت على ذلك الشك ·· الذي يهدم أجمل أمل كنت أملكه في حياتي ·· حمدي ·· هكذا انتهى ما بيننا حقا ·· فاعذر لي اني لا استطيع أن أهبك نفسي ·· وحقيقة شك ·· تسكن بين جنباتي نحوك ··

أما انت ·· فقد تحقق ما تريد ·· فاسعد بانتصارك · ·الاخير ··

··· حدجتني بنظرة احتقار ··· اماتت في كل شعور بالكرامة واحييت في نفسي زهو الانتقام منها ·· تلك التي لم تشعر بي يوما في حياتها ··

فكت الخطبة ·· وتحقق ما أريد ·· وجاء صوت حمدي نهاية ثورته ·· من أجل لا شيء ··

ـ عرفت الآن قيمة المبارزة · ليست من الهمجية في شيء كما يدعون ··· ولكنها الوسيلة الوحيدة ·· للقضاء على أمثالك ·· المبارزة ·· وسيلة لاضافة الكمال للقانون ·· الذي لا يستطيع أن يدين بغير أدلة قاطعة اما المبارزة ·· فهي حكم ·· بناء على دليل واضح ·· وان لم يكن قاطعا ·· حقيقة ·· حكمها الاخير للاقوى ·· ولكن كرامة الانسان لن تكون جديرة ان لم تساندها القوة للمحافظة عليها ·· والا ·· فالموت أشرف ·· ازوج مثلا المخدوع في امرأته ·· الاشاعات تصل الى أذنه ·· لكنه لا يملك الدليل·· حتى يثأر أو على الاقل يفصل عنها ليس هناك من وسيلة سوى أن يسكب كوب ماء في وجه عشيق زوجته·· فتقوم المبارزة·· ليثأر لشرفه المهدر في نبل وشجاعة ··والنهاية ·· البقاء لمن يجدر له البقاء ··· وها هي كوبة الماء اسكبها عليك·· فهل تبارزني؟

وثبت سريعا ·· فلم تصبني سوى قطرات ماء متناثرة ··· أجبته بضحكة ساخرة · ولكن القانون يمنع المبارزة·· الآن ·· الا تدرك هذا ··؟

وثبت له ·· صديق العمر ···
أوصدت بابها دوني غدرا وخيانة ·· وأوصدت أنا بابها دونه ·· بتبجيل لا املكه ·· ما أقوى انتصاري وما أجمل زهو نفسي ·· منطق الشك ·· هو سلاحي الحاد ··· دائما في خدمتي ·

قصة: جمال الغيطاني